التربية الأخلاقية والصراع القيمي في ظل تحديات العالمية المعاصرة

د. زهير حسين محمد الزعبي (الجامعة الهاشمية – الأردن)

مقدمة:

تعد المظاهر المتنوعة من الممارسات و أنماط السلوك الفردية والسياسات الجماعية التي تسلب الأفراد والمجتمعات السعادة و الأمن والاستقرار وتقلل العلاقات في مجالات الحياة المختلفة. ما هي إلا نتيجة لما العالم المعاصر من مجموعة من الهزات الأخلاقية المتلاحقة ولقد أخذت هذه الهزات الأخلاقية صفة العالمية نتيجة لما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة من سهولة في الاتصالات والمواصلات، ولم يعد لأي مجتمع أن يغلق معابره أمامها أو النجاة من آثارها.

ويكاد يكون الإجماع من أصحاب الفكر الفلسفي والتربوي ان المسؤولية في هذه الأزمة الأخلاقية انما تقع على التربية الحديثة التي اقتصرت اهتمامها على وسائل الحياة دون الغايات والمقاصد وأصبح من اللازم ضرورة مراجعة الاتجاهات الفكرية والثقافية التي أفرزتها الحضارة الحديثة وكان من ثمراتها معاداة القيم والأخلاق والدين.

ولكنهم يجمعون كذلك على أن التطور الهائل المستمر الذي أحدثته وتحدثه التكنولوجيا في الحضارة الحديثة والحياة، قد نقل المجتمعات البشرية إلى شبكة علاقات اجتماعية جديدة لم يعد بمقدور الأنماط التقليدية من القيم وأساليب التربية الأخلاقية مواجهة الأزمات الأخلاقية والاجتماعية التي تصاحب التطور المشار إليه، وبالتالي زاد البحث من علماء التربية والمفكرون عن التربية الأخلاقية من أجل الوقوف على دور المؤسسات التربوية في هذا المجال، لغاية تجنب الناشئة من عدوى الأزمات الأخلاقية الجارية.

واستطاع الباحثون في التربية الأخلاقية بلورة عدد من النظريات المتعلقة بالنمو الأخلاقي ابتداء من طفولة الانسان ومضياً مع مراحل حياته المختلفة، واستطاعت تحديد آثار كثير من العوامل المؤثرة في هذا النمو وآثار المورثات الثقافية والمؤتمرات الاجتماعية المختلفة، حيث بلورت ما يمكن اعتباره اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية .(الكيلاني، 1991، ص5-7).

تعد القيم من واحدة القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات والمستجدات في العصر الحديث ، ولاسيما مع تنامي موجات العولمة ، وما رافقها من تطورات هائلة في مجال المعلوماتية ، وما أحدثه ذلك من تأثير في النظام الاجتماعي وثقافة المجتمع بشكل عام .ولم يكن غريباً أن يتأثر مجال القيم بالمستجدات والتغيرات العالمية ، وكان من نتائج هذا التأثير ان انحسرت قيم وظهرت قيم جديدة، فانعكس ذلك كله على التنظيم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للإنسان وعلى أساليب حياته، وفي ظل هذه الأوضاع ظهرت على الساحة الإنسانية تشكيلة متباينة من المجتمعات أحدثت فيها هذه الظروف

والمستجدات تغيرات عميقة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي(اليحفوري، وفاعور، 2009).

ويشير وطفة (1995، ص66) أن الثقافة العربية تعاني من أزمة قيم تتمثل في الانشطارات الثقافية المتواصلة، وتعود هذه الأزمة إلى صراعات قيمية بين قيم الماضي والحاضر، وبين قيم الثقافة التقليدية وقيم الثقافات المعاصرة، وتعود هذه الأزمة في أكثر صورها وضوحاً إلى عدم قدرة الثقافة العربية على احتواء القيم الجديدة التي تطرحها الثورات العلمية التقنية المتقدمة على المستويات كافة.

ويؤكد عبد الدائم،(2000، ص131) ان الثقافة بوجه عام تتعرض أكثر فأكثر لهزات كبرى ، وهي عرضة للتآكل والإمحاء مع تزايد موجات العولمة والمعلوماتية ، باعتبارها أبرز ما شهده العالم المعاصر من تغيرات ومستجدات ، بسبب سيطرة نمط واحد من الثقافة الطاغية هو النمط السائد لدى الدول المتقدمة ، بل أكثرها تقدماً . ومن صفات هذا التغيير الاجتماعي السريع أنه مذهل في تحركه وديناميكيته وسرعته بحيث يتوقع أن يتم في عمر الجيل الواحد تغيرات متتالية وعديدة" .

إن ما يشهده العالم المعاصر من تحولات واسعة شملت جميع جوانب الحياة المختلفة ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية , فبعد مرور العالم المعاصر بمرحلة الحداثة يمر العالم اليوم بمرحلة جديدة يسميها البعض مرحلة ما بعد الحداثة او مرحلة الثورة الصناعية والتي من ابرز معالمها ظاهرة العولمة وما رافقها من تطور هائل في الجانب المعرفي والمعلوماتي والتي تسمى المعلوماتية ، بالإضافة للثورة التي يشهدها العالم زمانياً ومكانياً مما دعا البعض إلى وصفه بالقرية العالمية . ونتيجة للتغيرات العالمية المعاصرة حدث تذبذب وعدم استقرار في القيم الموروثة والمكتسبة على حد سواء ، وعدم مقدرة عدد كبير من أفراد المجتمع على الانتقاء والاختيار من بين القيم المتصارعة الموجودة وعجزهم عن تطبيق ما قد يؤمنون به بين من قيم ، كل هذا بسب أزمة حقيقية كان لها أثر كبير في دفع الافراد للتمرد والثورة على جميع قيم المجتمع ، وذلك أن القيم ليست واحدة في جميع المجتمعات البشرية ، وانما تختلف باختلاف الجماعات الانسانية وذلك راجع إلى العوامل الثقافية والاجتماعية وغيرها التي تؤثر على هذه الجماعات ، وبما أن المجتمع مقسم إلى مستويات اجتماعية واقتصادية وثقافية فهي تختلف داخل الثقافة الواحدة للمجتمع، وبالتالي صراعاً أخلاقياً قيمياً واضحاً دعا الباحث لمناقشة هذا الموضوع .

ففي ضوء كل هذه المستجدات والتغيرات العالمية المعاصرة سوف يلقي هذا البحث الضوء على موضوع التربية الأخلاقية والصراع القيمي في ضوء التغيرات العالمية المعاصرة.

إن موضوع التربية الأخلاقية ذو أهمية كبيرة، حيث يعتمد على اكتساب الفرد وتطور القيم الحياتية، والقواعد العامة للسلوك الإنساني، ويعتبر تكوين الوعي الأخلاقي من أهم الأهداف التربوية الأساسية، والوعي وسيلة من وسائل الخير بل انه كما يقول (جواردين) ضرورة من ضروراته التي يجب

توافرها، ولذلك لا يقتصر على العناصر الخيرة التي تمت معرفتها، ولكنه يتكون أيضاً من النزعة الصادقة نحو الحقيقة والقيم.

فالتلابية الأخلاقية هي البؤرة الأساسية لوظائف المدرسة كما يرى "ديوي", وقد أكد "هربت سنسبر" على أن أهم أهداف التربية تكون الخلق , ويعطي " جون لوك" أسبقية للتربية على التربية العقلية هي أمر ثانوي بالنسبة للهدف الأساسي للتربية وهي بناء على الأخلاق .

إن مفهوم التربية الأخلاقية مفهوم واسع معقد , حيث أنه يضم التربية والأخلاق , وكل منهما له معنى واسع , فالتربية الأخلاقية تدخل بشكل مباشر وغير مباشر في عمل المدرسة حيث انها تؤثر في كل من السلوك والتفكير الأخلاقي وفي القدرة على التفكير في مسألتي الصواب والخطأ (الجعفري 1996).

مفهوم التربية الأخلاقية يتم اكتسابه من الفرد ذاته على أساس من الخبرات الشخصية واليومية , وضرورات الحياة , والتطور الذي يوصل إلى التفكير الأخلاقي السليم , وإلى الوعي الأخلاقي ,كما انه يعتبر العنصر الأساسي للإكتساب الخلقي , والمعيار الصحيح في مواقف الخير والشر , فهو وعي أخلاقي حيوي وليس جامدا مصطنعا .

والسلوك الأخلاقي ليس مجرد تطبيق للقانون أو تطبيق خارجي لقاعدة , ومن هنا تظهر خطورة المراءاة بالذات عند الأطفال عندما يعتادون على الطرق الحسنة الخاوية من المعنى , فهذه تربية ناقصة وربما تكون خاطئة , لأن الخير يجب أن تكون هدفا أساسيا للحياة , وعمل الخير يعني بعث الحياة في سلوك الفرد وغرس القيم في الحقيقة اليومية , وهذا دافع الباحثين إلى القول بأن عمل الخير بمثابة خلل حقيقي . وليس فقط تطبيقا لنظام قائم , أو قانون سائد , بل هو إبداع لشيء لم يكن موجودا أصلا .

والتربية الأخلاقية تتحقق وتتطور من خلال التدريبات العملية للطفل وعن طريق التحرك الهادف , والرغبة في المشاركة في حياة الجماعة , وأيضا من خلال تصرفاته وسلوكه مع الآخرين مما يؤدي إلى الوجود الفعال والرضا الداخلي والإلتزام النفسي والإندفاع نحو الخير.(توق,1992) ويشير بيوتشنكويتي (1992) أن التربية الأخلاقية أيضا تعني ملاحظة قوانين الحياة لنفس الشخصية الإنسانية على أساس القيم والسلوك الصحيح, وذلك من اجل تحقيق مكاسب أخلاقية عامة, وبالتالي فإن مفهوم الأخلاق يتطلب القدرة غلى التقييم والإختبار, كما يتطلب نضجا فكريا صحيحا, ويكون بمثابة نقطة الوصول إلى الهداف النهائية للتكوين الخلقي, أما من ناحية النمو النفسي للطفل فيجب التركيز على ان اكتساب الوعي الأخلاقي يتحقق تدريجيا عبر مراحل مختلفة يمكن ان نطلق عليها عدم القدرة على الإختيار, وعدم الإستقلالية, و يفسر الفيلسوف الأمريكي كولبرج تطور التربية الأخلاقية في معاني أكثر تحليلا ويحددها في ست مراحل :

- يتم العمل على أساس الخوف من العقاب .
- يتم العمل على أساس الرغبة في الحصول على جائزة .

- يقوم الشخص بعمل ما , مدفوعا من القبول الإجتماعي الذي يحصل عليه من الآخرين .
- يتصرف الشخص مراعيا تماما للقانون والنظام .
- تصرفاتنا لا تضع في الإعتبار حقوق الآخرين فحسب , بل إنها تنبع من هذه الحقوق .
- التصرف الشخصي ينبع من الدوافع الشخصية التي تقوم على مبدأ العدالة والحب .

ومن المهم تربويا البدء بإرسال وتشيع اكتساب القيم الأخلاقية , وتطورها مما يؤدي بعد ذلك إلى تكوين الوعي الأخلاقي ,حيث يتركز النمو الأخلاقي بصورة أساسية في مرحلة الروضة , وذلك كعملية وعي تدريجية من جانب الطفل ويتركز بأهمية القيم المثالية التي تحدد سلوكه , وفي رياض الأطفال تكون هذه القيم مكتسبة من الخارج بمعنى أن الطفل في تصرفاته يهتم بأوامر ونواهي الكبار .

ونظرا لأن التربية الأخلاقية تتطور حسب العوامل المحيطة فإن هناك عوامل تؤثر فيها كالأسرة التي يتكيف خلالها الطفل مع الجو العائلي وسلوك الوالدين , حيث يتعود على قوانين الحياة ويكتسب الخصائص المميزة لثقافة الانتماء مثل اللغة والعادات والتقاليد, والسلوك, وإيقاع الحياة اليومية وقيمتها. وبطبيعة الحال نوعية القيم السائدة في المجتمع تؤثر في التربية الأخلاقية سواء أكانت منغلقة أم مفتحة. وتعتبر هذه الفترة مهمة جدا في حياة الطفل, بالرغم من إهمال الثقافة التعليمية لها, وذلك نتيجة تأثيرها الفعال في المستقبل الاجتماعي والأخلاقي للطفل, ولذلك فإن أية لفتة طبية تجاه الطفل - أي إشعاره بالثقة فيه - لن تؤدي فقط إلى رد فعل مماثل, ولكن ستلقة لديه استجابة وفيولا داخليا غير مباشر كما ينعكس بعد ذلك على سلوكه,(مصلح, 1990) .

واستكمالا لتوضيح مفهوم التربية الأخلاقية وتطوره نلاحظ أن المنحنى المعرفي النمائي في التربية الخلقية يثير العديد من القضايا أهمها أنه يقدم أساسا فكريا رصينا للتربية الخلقية في سياق الديمقراطية, وهذا يدفع الطلبة إلى الوعي بقيمهم الأخلاقية وقيم الآخرين, ومن أهم القضايا في هذا المجال حسم الصراعات الخلقية عن طريق العقل والتفكير, مع الأخذ بعين الاعتبار حقوق ومشاعر ووجهات نظر الآخرين, كذلك الاهتمام بربط الفكر بالعاطفة والسلوك , علما أ التربية الخلقية أسسا فلسفية , وسيكولوجية شاملة ,لها دور فعال في تربية الأطفال , والنهوض بالمؤسسات التعليمية (كاظم,1984).

ماهية الأخلاق ونظرياتها:

إن الأخلاق تقوم على فهم للطبيعة الإنسانية على نحو معين وهي تضع القوانين والنظريات والأهداف والمثل العليا التي تحاول على أساسها أن توجه هذه الطبيعة الإنسانية.

ويحاول الإنسان دائماً أن يصل إلى حل للمواقف التي تواجهه لكي يستطيع الاستمرار في معيشته في الحياة، وحتى يستطيع إلى حل لهذه المواقف لا بد أن يهتدي في تفكيره وسلوكه إلى ما هو أفضل، وقد

حاول الإنسان عبر التاريخ وفي مختلف العصور الوصول إلى معرفة للقيم المرغوب فيها والقيم غير المرغوب فيه.

لقد نشأت النظريات الأخلاقية بين الإغريق على أنها محاولة منهم لإيجاد نظام يسير عليه الإنسان في الحياة يقوم على أساس من العقل وتكون له غاية معقولة بدلاً من النظام الذي يعتمد على أساس العرف والعادة، ومن ذلك الوقت أصبحت هذه النظريات تحقق وظيفتها عندما تكشف عن غاية نهائية أو قانون نهائي.

وقد فصلت النظريات الإغريقية القديمة بين عالمين: عالم مثالي سماوي علوي، وعالم واقعي، مما أدى إلى تمزق الإنسان بين هذين العالمين، لأنه لم يستطع التوفيق بينهما، وفي هذه الحالة ينافق البعض متظاهرين بالفضيلة وينغمسون بالرذائل بينهم وبين أنفسهم، ويعيش البعض الآخر في التنسك والزهد حتى يحققوا القيم العلوية، وهناك فريق ثالث نادى بأن الحرية هي في تحقيق الإنسان لشهواته.

لقد حاول أفلاطون أن يوحد بين المعرفة والفضيلة، ونتج عن ذلك أن الإنسان الذي يعرف أن يسلك سلوكاً فاضلاً والذي لا يعرف فانه يقع في الخطأ، ولكن هذه النظرية واجهت كثيراً من النقد، لأن هناك أناس يدرسون الأخلاق ومع ذلك فهم يعملون الشر.

ولقد أدى فصل الأخلاق عن الطبيعة الإنسانية وعن العالم الواقعي واتصالها بالعالم المثالي إلى هروب الإنسان من الواقع ليجد قيمه الأخلاقية في حرية ميتافيزيقية للإرادة وبطرق مختلفة فإن الناس يعيشون في عالمين مثالي وواقعي وآخرون يتأرجحون بين هذين العالمين. ونتج عن هذا أن كانت هناك مدرستان للإصلاح الأخلاقي والاجتماعي يقوم على تطهير القلوب والنفوس وعندما يتم هذا بنجاح فإن التغيير في المؤسسات الاجتماعية ينبع من تلقاء نفسه.

وقد ألقت هذه المدرسة العبء الأكبر على حرية الإرادة وشجعت السلبية الاجتماعية والاقتصادية، ولم يعد الناس يهتمون إلا بما في داخلهم وما في نفوسهم من فضائل ورذائل وابتعدوا عن الاهتمام بالبيئة لأنهم من وجهة نظرهم بعد ما في أنفسهم فإن التغيير في البيئة سيكون تلقائياً.

أما المدرسة الثانية فتقوم على أساس ان الإنسان قد صار الى ما عليه من تكوين نتيجة القوى البيئية المختلفة التي أثرت فيه والتي تفاعلت مع طبيعته الإنسانية المرنة السهلة التشكيل، لهذا فإنها تنادي بتغير المؤسسات أولاً. وأن الإصلاح يتمثل في التفاعل بين عناصر الطبيعة الإنسانية وبين عناصر البيئة، وهذا التفاعل هو الذي يحافظ على بيئة تكون فيها الرغبة الإنسانية والاختيار الانساني ذو معنى.

ولقد أدى الاعتقاد بوجود قيم أخلاقية ثابتة في عالم علوي مثالي أن تنقسم الغايات إلى قسمين: الأول ذاتية وهي التي ترجى لذاتها وقيمتها في نفسها، أما القسم الآخر فهي غايات وسيلية وهي الوسائل التي تتخذ لتحقيق الغايات الذاتية، وبالتالي انقسم الخير الى ذاتي ووسيلي، ولقد استخدم أرسطو هذه التفرقة

بين الخير الذاتي والخير الوسيلي ليبين للناس أن الارتقاء والعمال على الرغم من ضرورتهم للدولة فليسوا من مقوماتها بأي حال من الأحوال.

لهذا أصبحت الأخلاق الوسيلة غير جديرة بالعناية، ومن ثم فإن الأحرار أخذوا يهربون من الخير الوسيلي وتركوا أمر القيام بشؤونه إلى طبقة وضيعة من البشر.

وقد نتج عن هذا أيضا الخير الأخلاقي وهو الفضائل كالأمانة والشجاعة والعفة، عن الخير الطبيعي وهو الصحة والاطمئنان الاقتصادي والفن والعلم، وهذا الفصل نتيجة لفصل الشخصية الانسانية عن البيئة الاجتماعية، وفصل الذات عن أعمالها، وفصل الفعل عن نتائجه، وقد انكرت كثيراً من المدارس الفكرية هذا التمييز القاسي بين أنواع الخير الأخلاقي الطبيعي وحاولت أن تعمل على إلغائه، وبالغت بعض المدارس فقالت إن الخير الأخلاقي قيمة له أن لم يؤد إلى خير طبيعي.

إن نظريات القيمة قسمت إلى نوعين هما: الأول يتعلق بعالم أدنى من الوجود لأنه يتعلق بالخير والشر، والنوع الثاني: هو تلك القيم التي تعلو على الخبرة الإنسانية لتصبح فوقها ثابتة دائماً أزلية.

وهناك نظريات تنظر إلى الأخلاق على أنها مجرد انفعال يبين إذا كان الإنسان مخطئاً أو محقاً وهذه النظرية يتزعمها الفيلسوف "إير" والفيلسوف " ستيفنون".

وهناك النظرية النفعية التي تقيم الأفضلية في الميدان الأخلاقي على أساس حساب الأرباح والخسائر، واللذة والألم، وهي بذلك تفصل بين الذات وبين نتائج السلوك في البيئة الاجتماعية.

ونخلص إلى أن مفهوم القيم هو أن الإنسان يعيش في بيئة يتفاعل معها وينتج عن هذا التفاعل شخصية ذات نمط معين وقيم لها طابع معين، وفكرة التوحيد بين الإنسان وبيئته، وبين الذات وسلوكها، وبين الدافع والعمل، وهذه الوحدة تقوم عليها النظرية الأخلاقية. (النجيجي، 1992، ص250-343)

أما من المنظور للأخلاق فقد اعتبر الإسلام الإنسان خليفة الله في الأرض وقد كرمه وأعلى من شأنه وفي الوقت نفسه حمله مسؤولية كاملة عما وهبه من العقل والحكمة والقدرة على التمييز.

والتربية في الإسلام هي الوسيلة لإحداث التغيير في المجتمع نحو الأفضل عن طريق النفس ويقول الله تعالى" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". وان الإسلام أقام قانون الأخلاق على منهج عملي وليس على أساس نظرية فلسفية بمعنى أن أساس قانون الأخلاق في الإسلام هو الالتزام والأجزاء وقوامه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

القيم ونظرياتها:

تحتل مسألة القيم مكان القيم من العقائد والفلسفات والأفكار، ذلك أن القيمة هي التي تشكل مفاهيم وسلوك الإنسان، كما قال محمود(1992، ص55) " أن القيم تقوم في نفس الإنسان بالدور الذي يقوم به ربان السفينة، يجريها ويرسيها عن قصد مرسوم وإلى هدف معلوم، ففهم الإنسان على حقيقته هو فهم القيم التي تمسك بزمامه وتوجهه".

ودراسة موضوع القيم حظي باهتمام عظيم من رواد الفكر الفلسفي وأقطاب الدراسات الأخلاقية القدماء والمعاصرين.

والواقع أن أهمية دراسة القيم لا تقف داخل نطاق الفكر الفلسفي وحده، فالقيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، لأنها ضرورة اجتماعية ولأنها معايير وأهداف لا بد أن نجدها في كل مجتمع منظم سواء كان متأخراً أم متقدماً، فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات وتظهر في السلوك الظاهري الشعوري واللاشعوري. وفي المواقف التي تتطلب ارتباط هؤلاء الأفراد، وتعبر القيم عن نفسها في قوانين وبرامج التنظيم الاجتماعي والنظم الاجتماعية (عبد السلام، 1992، ص63).

وتعتبر القيم من خصائص المجتمع الانساني، فالانسان هو موضوع القيم، فالقيم عملية اجتماعية تختص بالجنس البشري عموماً وتشتق أهميتها ووظائفها من طبيعة وجوده في المجتمع، فلا وجود للمجتمع الإنساني دون القيم، فهما ظاهرتان متماسكتان أشد التماسك ويشبهها كروبير بأنها كسطحي الورقة في تلاصقها، فإذا محونا من أي مجتمع إنساني قيمه، فإننا بذلك نكون قد سلخنا عنه بشريته(البهي، 1985، ص29). وبشكل عام تمثل القيم أطاراً مرجعياً يحكم تصرفات الفرد والجماعة، وبالتالي فإن دورها في تكوين شخصية الفرد ونسقه المعرفي وتشكل الطابع القومي أو الشخصية القومية.

ويعتبر مفهوم القيم من المفاهيم الشائعة في مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية، إلا انه لا يوجد ثمة اتفاق بين العلماء حول تعريف موحداً لهذا المفهوم، وذلك لاختلاف منطلقاتهم الفكرية وحقولهم الدراسية، فتمثل القيم عند بارسون الالتزام العميق الذي يؤثر في عملية الاختيار والتفضيل بين البدائل المطروحة وعرف القيمة على أنها " عنصر في نسق رمزي مشترك يشكل معياراً أو مستوى للاختبار بين بدائل التوجيه الموجودة في موقف ما" وعرفها استيتية وصبحي (2002، ص87) بأنها مجموعة أفكار ومبادئ يكتسبها الفرد في بيئته الاجتماعية وهو يؤمن بها ويتذوقها وتشكل في مجموعها النسق القيمي الذي يحكم سلوكات الفرد وممارساته ويساعده في التكيف مع بيئته الاجتماعية، بمعنى ان القيم عبارة عن تنظيمات لاحكام عقلية انفعالية تتسم بالعمومية نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة وهي تعبر عن درجة التفضيل التي ترتبط بالأشخاص أو المعاني أو أوجه النشاط. في حين يقول الكيلاني(1988،ص51) ان القيم محطات ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها أو في منزلة معينة بين هذين الحدين.

ويشير مفهوم القيمة إلى حالة عقلية ووجدانية يمكن تعريفها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤشرات هي المعتقدات والأغراض والاتجاهات والميول والطموحات والسلوك المعني وتدفع الحالة العقلية والوجدانية صاحبها إلى أن يصطفى بإرادة حرة واعية وبصورة مكررة نشاطاً إنسانياً

يتسق فيه الفكر والقول والعقل يرجحه على ما عداه من أنشطة بديلة متاحة فيستغرق فيه. ويسعد به ويحتمل فيه ومن اجله أكثر مما يحتمل في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتية (الصمدي، 2003، ص68).

في حين ترى أبو زيد (2005، ص43) ان القيم معيار للحكم على كل ما يؤمن به مجتمع ما من المجتمعات البشرية ويؤثر في سلوك أفراده حيث يتم من خلال الحكم على شخصية الفرد ومدى صدق انتمائه نحو المجتمع بكل أفكار ومعتقداته وأهدافه وطموحاته، وقد تكون هذه القيم ايجابية او سلبية لكل ما هو مرغوب او غير مرغوب فيه يتمثلها الفرد بصورة صريحة واضحة، أو ضمنية خفية تنعكس آثارها في سلوكه فتحدد حياته التي تتجلى من خلالها ملامح شخصيته وتتمثل في القيم المعرفية، والقيم الاجتماعية، والقيم الاخلاقية، والقيم الجمالية، والقيم الدينية، والقيم السياسية، والقيم الاقتصادية.

مصادر القيم

هناك اختلاف حول تحديد مصادر القيم في الثقافات المختلفة، فهناك فكرة قديمة ترجع إلى جماعة السفسطائيين في المجتمع الإغريقي تقول ان مصدر القيم هو الفرد، فالإنسان هو مقياس كل شيء، وهو الذي يحدد ما الصواب، وما الخطأ وما هو جميل وما هو قبيح، والانسان هو الذي يجعل لأية قيمة معنى بقبوله لها التزامه بها ، ولهذا يجب ان تكون القيم محققة لرغبات الفرد واهتماماته.

وهناك فكرة أخرى تقول إن المجتمع هو مصدر القيم، فهو الذي يخلقها ويحافظ عليها وعلى الأفراد أن يلتزموا بها طالما أن جماعتهم ارتضوها لأنفسهم.

وفكرة ثالثة تقول ان المجتمع هو مصدر القيم ، فهو يتمشى مع طبيعة الأشياء ويتفق مع العقل. فالحق حق والعدل عدل لأن الحياة لا تستقيم إلا بهما، والحلو حلو بغض النظر عن ذي الفم المريض الذي يجد مراً به الماء الزلال والجميل جميل بصرف النظر ممن لا يرى الورد الا الشوك ولا يرى فوقها الندى إكليلا.

وبالنسبة للثقافة الإسلامية فان الدين هو مصدر القيم لأنه دستور المسلمين الجامع الشامل حتى بالنسبة للقيم التي تتطلبها الحياة المتجددة.

وللقيم نظريات وأنماط مختلفة تتركز دراستهما حول ثلاثة موضوعات هي:

- هل القيم ذاتية أم موضوعية؟ أي هل هي شخصية أم غير شخصية؟
- هل القيم متغيرة أم ثابتة ومطلقة جوهرية أم نفعية وسيلية؟
- هل هناك تدرجات في القيم؟

أولاً: هل القيم ذاتية أم موضوعية؟

هناك قيم موضوعية وقيم ذاتية. فالقيم الموضوعية حقائق مستمدة من طبيعة الكون وخالقه وهي قائمة وموجودة بغض النظر عن رغبات الإنسان وأحاسيسه فالحق والخير والجمال حقائق ربانية مطلقة، ولها

قيمة داخلية في حد ذاتها سواء رغبنا أم لم نرغب. فإننا نفعل الخير من أجل فعله بغض النظر عن رغباتنا الشخصية.

أما القيم الذاتية: فهي نسبية في ضوء الرغبة الشخصية التي تضفي قيمة على الشيء موضع الاعتبار، فمعنى إننا نقدر شيئاً نرغب فيه، ونحن نعتقد انه حسن ، لأننا نرغب فيه، والقيم الذاتية من صنع الإنسان وتختلف تبعاً للإنسان وظروفه، والقيم الذاتية وسيلة نفعية، لأنها تستخدم للحصول على إشباع رغبات معينة. فالطفل الذي يساعد زميله في حل الواجبات المدرسية يسعى إلى كسب تأييده، والذي يدرس باجتهاد يسعى ليرضي والديه.

ثانياً: هل القيم متغيرة أم ثابت؟

القيم نوعان: مطلقة أزلية ومتباينة ومتغيرة. فالقيم الأزلية ثابته وهي انعكاس للحقيقة ذاتها المستمدة من طبيعة الكون. فهي ثابتة في كل الأجيال وفي كل المجتمعات وفي كل الأزمان فالخطأ عندنا اليوم خطأ عند أجدادنا وقد بين الله لنا طريق الخير والشر والنفع والضر، وأقام ذلك كله على قيم إنسانية خالدة.

وأما القيم المتغيرة، فهي استجابات لحاجات الإنسان المباشرة، وهي على عكس القيم المطلقة تنشأ من خبرات الإنسان اليومية، وهي قيم نسبية وشخصية، واجتماعية أكثر منها فردية، ولكن التوصل اليها عن طريق التجربة. والانسان هو الذي يكون هذه القيم النفسية وفقاً لمعاييره التي يشكلها بنفسه والتي تأخذ صورتها لديه من التفاعل الاجتماعي.

ثالثاً: هل هناك تدرج في القيم؟

هناك بعض الفلاسفة يلتزمون ببناء شبه الثابت للقيام , وهناك نظام يمتدح الأشياء المعنوية المتعلقة بالروح أكثر من تلك الأشياء المادية . فالقيام عندهم لها مكانة عالية لأنها تساعد على ان يصبح الإنسان في نطاق الرباني .

وهناك فلاسفة آخرون يرون أن بعض القيم أكثر أهمية من غيرها فالقيم التجريبية تكون في المكان الأعلى لأنها تساعد على التوافق مع الحقيقة المادية , ولهذا فهم يقدرون العلوم الرياضية والفيزيائية , وهناك فلاسفة آخرون يرفضون إقامة التدرج أو التسلسل في القيم , فالقيمة أي النشاط هي نفس قيم النشاط الآخر, ويؤكد هؤلاء على العملية أكثر من الهدف .

وموضوع القيم طويل وملتوٍ في وقتنا الحاضر . وهذا كان شائع أنه لا يمكن أن يلتق الشرق والغرب بالقيم الإجتماعية الخلقية , فإن الغرب يحتاج في ماديته إلى روحانيه الشرق وهذا يؤكد ضرورة تكامل القيم وتضافرها بين كل شعوب العالم في الشرق والغرب وعلى حد سواء ويجب أن يستقر ذلك في عقول أبنائنا الذين نربيهم . وتشكل الآراء ومفاهيم المحيطة بطبيعة القيم وعلاقتها بالتربية نظريتين رئيسيتين هما :

– نظرية القيم باعتبارها جوهرية : ويؤكد أصحابها بأن القيم جوهرية ومطلقة ودائمة , ومرتبة تدريجيا من أعلى إلى أسفل . وتكون القيم العالية منها مكتشفة بطريقة العقل الإنسانية وترتبط بالفلسفة المثالية بصورة رئيسية .

– نظرية القيم النفعية أو الوسيلية : تعتبر جميع القيم نفعية و وسيلية بطبيعتها , وهذا يعني أن القيم تقوم على نفع وفائدة الإنسان في حياته , وهي لهذا متغيرة لتغير أحوال الناس عبر الزمان والمكان . وترتبط بالفلسفة البراجماتية والتقدمية (مرسي , 1992, 64-73).

خصائص القيم :

تفسر القيمة بالاعتقاد بان شيئا ما يعد ذا أهمية لفرض ما أو جماعة ما , ولما كانت القيمة إنسانية شخصية تتوقف على الاعتقاد , فلابد إذن أن تكون نسبية بمعنى أنها تختلف عند الشخص تبعا لحاجته ورغباته وتربيته وظروفه , وكذلك لابد أن تختلف أيضا من شخص غلى آخر ومن زمن إلى زمن , ومن مكان إلى مكان , ومن ثقافة إلى ثقافة , فمن يحب شخصا أو شيئا ويميل اليه بشعر بأن له قيمة لديه وبالعكس لا يرى قيمة لمن يكرهه – مثلا – نظرة الفنان المتمرس إلى كتاب عن الفن محلى بالصور تختلف من حيث قيمته عند طفل يراه مصدرا لصور جملية ملونة تغريه بأن يقصها ويلعب بها .

وتمتاز القيم بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من المفاهيم الأخرى كالحاجة , أو الواقع, أو المعقد أو الإتجاه , أو السلوك , ويمكن أجمال أهمها فيما يلي :

– أنها إنسانية ,اي تتعلق بالبشر دون غيرهم .

– أنها غير مرتبطة بزمن معين , أي هناك ارتباط للقيم بالماضي والحاضر والمستقبل .

– أنها تمتلك صفة الضدية , أي لكل قيمة ضدها مما يجعل لها قطب ايجابيا , وقطب سالب (القطب الايجابي يشكل القيمة , القطب السالب عكس القيمة).

– المعيارية , أي أن القيمة تعتبر بمثابة المعيار لإصدار قيمة تقيس وتقيم وتفسر وتعلل من خلالها السلوك الإنساني .

– أنها نسبية ,أي أنها ليست مطلقة بل تمتاز بالثبات النسبي وهي تختلف من مجتمع لآخر تبعا لعوامل المكان والزمان والثقافة والجغرافيا و الأيدولوجيا .

– أنها ذاتية , أي أن وزن القيمة و أهميتها يختلف من فرد لآخر .

– أنها متعلمة , أي أنها نكتسبة من خلال البيئة وليست وراثية , ويكون تعلمها واكتسابها عن طريق مؤسسات التنشئة الإجتماعية المختلفة (حسين ,1991,عقيل , وابو التمن 2001, شكري ,2002) .

أهمية القيم :

وللقيم دور أساسي في حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات إلى درجة أصبحت فيها القيم قضية التربية ,ذلك أن التربية في حد ذاتها عملية قيمية, فالقيم هي التي تحدد الفلسفات والأهداف والعمليات التعليمية وتحكم مؤسسات التربية ومناهجها فهي موجودة في كل خطورة وكل مرحلة وكل عملية تربوية وبدونها تتحول التربية إلى فوضى .

ويرى كثير من الباحثين أن مظاهر الإضراب في المجتمعات المعاصرة يمكن ان تعزى الى غياب الإلتزام بنسق قيمي متسق يحدد سلوك الأفراد وتوجهاتهم ويصدق هذا على كل المجتمعات متقدمة كامن ام نامية , شرقية او غربية , فقد ووصف ماسلو Maslow احد علماء النفس الأمريكان العصر الحالي بانه عصر انعدام المعايير وعصر الفراغ وعصر بلا حدود , ويفتقر فيه الناس الأمل ويعوزهم وجود ما يعتقدون فيه وبعيشون من اجله (عقل ,2001، ص76, الشيخ ,1997، ص55).

أهمية القيم للفرد :

تنبع اهمية القيم للفرد لانها تبرز مساهمتها في بناء وتشكيل الفرد وتشكيل شخصيته وتحديد غايته وأهدافه ووسائل تحقيق هذه الغايات , و إيجاد معيار تفضيلي يمثل إطارا مرجعيا يحكم تصرفات الإنسان في حياته العامة والخاصة وبالتالي تعمل على ضبط سلوكه وتوجيهه فالأمانة قيمة اذا تبناها الفرد وجهت سلوكه ضد الغش , والصبر قيمة توجه السلوك نحو تحمل الشدائد ومقاومة الضعف البشري . وكذلك تمثل القيم أحكاما معيارية , فهي معايير يعتمدها الفرد في تقييم سلوكه وسلوك الآخرين , وفي الحكم على الأفكار وأشخاص والأعمال والمواقف من حيث انها مرغوبة ايجابيا أو غير مرغوبة سلبيا . وأيضا تعمل القيم على وقاية الفرد من الانحراف , فالقيم الدينية ولاجتماعية التي يتبناها الفرد تحميه من الانزلاق في الخطأ, فهي كعامل وقائي, كما تعمل كعامل إنمائي لشخصية الفرد حيث تمكنه من التكيف مع ضغوط الحياة ومصاعبها .

وتسهم القيم بدور رئيسي في حل الصراعات واتخاذ القرارات على اعتبار أن النظام القيمي مجموعة من المبادئ تساعد الفرد على اتخاذ قراراته وإنهاء صراعاته بما يحقق بعض قيمة .

أهمية القيم للمجتمع :

تبرز أهميتها بالنسبة للمجتمع من خلال مساهمتها في حفظ المجتمع و تماسكه وتحديدها لأهدافه ومثله العليا ومبادئه الثابتة التي توفر له التماسك لممارسة حياة اجتماعية سليمة لذلك حرص الإسلام على بناء مجتمع إسلامي تسوده القيم الفاضلة من تضحية وإيثار وتكافل وحب وتعاون يضمن له تماسكه .

وتعمل القيم على ربط أجزاء من الثقافة بعضها ببعض حتى تبدو متنافسة وتخدم هدفا محدودا كما تعمل على توجيه الفكر نحو غايات محددة فأي فكر مهما كان علميا وتقدميا لا يستطيع الارتقاء بالأمة ما لم يكن مرتبطا بمنظومة القيم , فهذه القيم تقوم في نفس الإنسان بالدور الذي تقوم به الربان في السفينة

في قيادة السفينة إلى هدف معلوم , وتلعب دورا في اتخاذ القرار الصحيح , كما تعمل القيم كموجهات السلوك للأفراد والجماعات وتقي المجتمع من الإنحرافات الاجتماعية ولا يستقيم مجتمع بدونها .

وتؤلف القيم الإطار الأخلاقي لكل نشاط إنساني، فالقيم توجه هذه النشاطات نحو أهداف سامية فقط اوضح غاندي ان غياب القيم كعنصر توجيه للنشاط الانساني ينتج عنه الدمار وان أي نشاط لابد أن تغلفه القيم فقد ذكر أن " معرفة الخلاق ولذة بلا ضمير، أو سياسة بلا مبادئ، وتجارة بلا فضيلة وثروة بلا زعل، وعلم بلا روح إنسانية تمثل تدريباً للنشاطات الإنسانية السابقة.

وتقوم القيم بدوراً في تنمية المجتمع، فالتنمية عمادها العقل والتخطيط والإبداع، فالقيم العلمية المتمثلة في التفكير والتخطيط والاجتهاد وغيرها هي السبيل إلى تنمية المجتمع وازدهاره والارتقاء به. وكذلك تقوم بدوراً مهماً على مستوى الانسانية، فالقيم الإيجابية تدعو إلى تعاون المجتمعات ونبذ العنف والصراعات والتمييز العنصري فالتعصب بأنواعه السياسي والديني والطائفي كدخل لثورات سياسية واجتماعية وسبباً للفتن ولصراعات تفضي غلى دمار اقتصادي اجتماعي شامل.

القيم في ضوء التغيرات العالمية المعاصرة:

لقد تدفقت التحولات والتغيرات من كل الاتجاهات وفي كل المجالات، و فجأة ازداد الإدراك بان التحولات الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية سريعة حتى بمقاييس عصر السرعة. إن سرعة التحولات الحياتية الراهنة هي من العمق حيث أن الجهاز العصبي والذهني للإنسان المعاصر أصبح عاجزاً عن مواكبتها، وغير قادر على التعامل، أو التكيف معها، لأنها أصبحت خارج سياق أي تحكم بشري(عبد الله، 1999، ص71).

ويشير وطفة (1995، ص60) أن التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة اليوم تجعل الإنسان يعيش صدمة ثقافية قيمية بالغة الخطورة والأهمية. وهي التغيرات التي تضع الإنسان في مواجهة قيم جديدة غير مألوفة يتوجب عليه أن يتمثلها، وذلك يؤدي إلى إحداث خلل في تكيف الشباب وانهيارهم، وكذلك يذكر أننا في مواجهة قيم جديدة تتعلق بغزو الفضاء والأقمار الصناعية وثورة الحسابات، وذلك كله يعرض الشخصية لموجة متضاربة من القيم تؤدي إلى انهيار الشخصية والى انفصام اجتماعي.

في حين يرى حجازي(1995،ص42) انه في ظل المتغيرات العالمية المعاصرة، يلاحظ العملية الثقافية والاجتماعية في المجتمعات التقليدية والنامية. تلك العملية التي كانت عراقة وتأثيراً في تطور وإدارة المجتمعات التقليدية النامية, ذلك بسب الاختراق الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية. لقد بات واضحا أن الاختراق الثقافي , خاصة في ظل العولمة بآلياتها المعاصرة , يعمل على تهديد منظومة القيم الأصلية, ويشكل نوعا من الازدواجية الثقافية التي تجتمع فيها تناقضات الأصالة والمعاصرة , مما يؤدي إلى تهميش أو تغيير ملامح الثقافة الوطنية .

وبما أن بؤرة بناء الشخصية تكمن في القيم التي تتغلغل في أعماق الفرد , وجوهرة وذاته , وعقيلته . ورغم أنها تكمن في الأعماق, إلا أنها قد تتعرض للتغيير الاجتماعي باعتباره ضرورة لكل المجتمعات فعوامل التأثير والتغيير تؤثر في المجتمع من داخله وخارجه . ولابد من ان يستجيب لهذا التغيير, سواء أكانت استجابة سريعة ام بطيئة . وهذا يعني أنهه لابد من تعديل في المواقف والاتجاهات , ومراجعة للقيم, والأخذ بقيم جديدة لم تكن شائعة من قيل وهي ما تدعى عند المفكرين بقيم الحادثة.(عطية ,1993)

وفي هذا العصر المتزاحم بالتغيرات العالمية المعاصرة نجد أنفسنا بصدد معارك كبرى , قيمية وايدولوجية وسياسية واقتصادية ثقافية , من الصعب التنبؤ بنتائجها النهائية ,لأن المسألة ستتوقف على قدرة الاتجاه المضاد على مواجهته والانتقال من القيم الروحية إلى القيم المادية ومن القيم المادية الى قيم ما بعد المادية , والانتقال من المعرفة إلى الحداثة ومن الحداثة إلى ما بعد الحداثة. (عقيل و أبو التمن, 38, 2001).

التغيرات العالمية المعاصرة :

يشهد عالمنا المعاصر متغيرات لها آثار واضحة في مختلف جوانب الحياة المختلفة ومن أهمها ظاهرة الحداثة , وظاهرة العولمة , والثورة التقنية و الاتصالية الحديثة " المعلوماتية " .

أولا : ظاهرة الحداثة :

ويقصد بالحداثة انها استجابة واعية لمتغيرات الحياة التي تؤكد استقلالية العقل الإنسانس تجاه التوجهات الفكرية المتجددة وتمكن الإنسان من تحقيق المزيد من النماء والتقدم ,(1993,8) , ويرى (عويدات ,2001) مع ان الحداثة برزت في أوقات مختلفة , وأماكن متعددة إلا انها تدور حول فكرة رئيسية هي الإعلاء من شأن الفرد , وهي في 1ات الوقت تشكل إطارا عاما لفهم المصدر الذي انطلقت منه الرأسمالية الليبرالية, ومن أهم المفاهيم التي انطلقت منها الحداثة ما يأتي :

– الفرد أساس المجتمع : فالفرد هو المحور الذي يجب أن تدور حوله الفعاليات والاهتمامات , أي المحور الأساسي لكل النشاط البشري , فالإنسان مقياس الأشياء جميعا .

– الفرد يقاس بالفرد ، والفرد يقاس بإنجازه , وإبداعه , وإنتاجه , بغض النظر عن جنسه ولونه وعرقه ووطنه .

– قدسية الملكية الفردية : فالملكية الخاصة حق أساسي لا يجوز المساس بها , أو الإعتداء عليها , ثم تطور هذا الحق ليصل إلى حقوق الإنسان التي أصبحت ميثاقا دوليا .

– نظام الحكم هو النظام الديمقراطي من حيث احترام اختيارات الإنسان وحريته وملكيته وانجازه , وإعطاءه الفرصة ليقرر كناخب من يحكمه , مع التركيز على العدالة والمساواة في ظل دولة القانون .

في ظل ها الإطار السياسي تعددت حريات الإنسان وهيمنت حريات التعبير والتنقل والملكية, وهذه المفاهيم جميعا , ومعها غيرها شكلت جزءا من مدرسة الحداثة .

وحول أثر ظاهرة الحداثة في النواحي الاجتماعية والثقافية يقول بلقزيز (1999,313) : "أما التفكك ... , فقد جرى في امتداد تحولات اجتماعية وثقافية عميقة وعاصفة شهدتها المجتمعات العربية هي في جانب عظيم منها ثمرة لدخول حداثة مرتكبة كان سبيلها نفقا أكثر مما كان طريقا سالكا أمام التقدم . المظهر المثير لهذا التفكك , هو فقدان الأسرة المتزايد لقدرتها على الاستقرار مرجعية قيمية وأخلاقية للناشئة بسبب نشوء مصادر جديدة لإنتاج القيم وتوزيعها. وفي هذا الصدد يذكر عطية (1993,3) أنه " عندما يتعرض المجتمع للتأثير والتغيير , فانه بيدي تخوفه من الحداثة , ذلك أنها تبدو للوهلة الأولى متناقضة مع هويته ومتباينة مع شخصيته . وهذا يؤدي إلى الصراع والتوتر , وبالتالي يؤدي إلى ظهور مشكلة اجتماعية يتوقف حجمها على مدى التناقض بين قيم الحداثة , والقيم السائدة ".

ثانيا : ظاهرة العولمة :

من اجل تسهيل فهم وتمييز آثر مفهوم العولمة تم تقسيم العولمة إلى أربعة لبعاد (عبد الله, 1999) :

– العولمة الاجتماعية : وتعني بروز المنظمات والمؤسسات غير الحكومية التي تهدف إلى السعي نحو خلق المجتمع المدني العالمي الذي يراقب نشاطات الدول وسياستها في مجالات حقوق الإنسان والبيئة والإرهاب والمخدرات والجريمة والقضايا الاجتماعية والانسانية الأخرى.

– العولمة الثقافية : بروز عالم بلا حدود ثقافية حيث تنتقل الأفكار والمعلومات والأخبار والاتجاهات القيمية والسلوكية بحرية كاملة على الصعيد العالمي , وبأقل قدر من التدخل من قيل الدول .

– العولمة الاقتصادية : بروز عالم بال حدود اقتصادية , حيث أصبح النشاط الاقتصادي يتم على الصعيد العالمي عبر شركات عابرة للقارات , والت لا تخضع للرقابة الحدودية التقليدية , وتدير جميع عملياتها الإنتاجية بمعزل عن الدول .

– العولمة السياسية : وتشير إلى تراجع أهمية الدولة , وبروز مراكز جديدة للقرار السياسي العالمي في الوقت الذي تتجه فيه الدول للتخلي الطوعي أو الاضطراري عن مظاهر السيادة التقليدية .

– وتشكل العولمة وإفرازاتها في الوقت الحاضر الوجه البارز في ما يشهده العالم من تغيرات وانعكاسات على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية وفيما يتعلق في الجانب الثقافي (القيمي خصوصا) , ففي الوقت الذي يرى فيه بعض المنظرين الجانب الثقافي القيمي لا يمكن ان يتأثر أو يتغير بالعولمة إلا ان الكثير من المنظرين يرون عكس ذلك حيث يرون أن هذا الجانب الثقافي و القيمي تأثر بطريقة أو بأخرى بالعولمة ويخشون خطورتها على هذا الجانب مستقبلا , وذهب بعضهم إلى ابعد من ذلك مؤكدين على أن ظاهرة العولمة , بالرغم من مظهرها

الاقتصادي والسياسي , إلا أن هدفها النهائي هو التغيير في الجانب الإجتماعي والثقافي للمجتمعات البشرية , وبما ان في ذلك الهوية وأنماط العيش والقيم .

– يذكر (عقيل , زابو التمن ,2001) أن المجتمع الذي يفتح الباب لمتغيرات العولمة , يقع فريسة لتصارع القيم المختلف وعلى مختلف الأصعدة , وأن هذا الشعور لا بد أن يتطور ويوجه بالصورة التي يتركز في داخل نفس كل فرد من أفراد المجتمع . والشيء الذي يمكن أن يقال عن مثل هذا الشعور , أنه يمكن أن يجعل أفراد المجتمع في حالة فوضى قيمية , بسبب انعدام المقاييس القيمية والفكرية .

ثالثا : المعلوماتية :

لقد أشار النقري (2001,15) حول مفهوم المعلوماتية بأنها " منظومة المعارف المنتمية إلى سائر أنواع المعلومات في الطبيعة والمجتمع وفي التجهيزات التقنية, سواء من حيث إنتاج وتحويل المعلومات, أو من حيث تخزينها وتوزيعها ".

لقد ساهمت المعلوماتية في انتقال المفاهيم والقناعات والمفردات والذواق فيما بين الثقافات والحضارات . وكذلك نقلت العالم من مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة , وبالتالي دخوله عصر العولمة وثم العولمة وثم إلى عصر ما بعد العولمة وذلك بسبب المستجدات التكنولوجية والتطورات المعلوماتية . (عبد الله,1999) .

ولقد ترتب على الثورة المعلوماتية حدوث تغير اجتماعي متسارع في القيم والمعايير والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية , والانفتاح والإعلامي الثقافي الحضاري العالمي بفضل وسائل الإعلام السريعة . (العويدات ,1999, 63).

لقد أتاحت تكنولوجيا الاتصال إمكانية الأسرة العربية الثقافية للبث المباشر عبر الأقمار الصناعية , وازدحمت السماوات بالفضائيات العربية , والتي تبث برامج ومضامين وإعلانات مغايرة للثقافة العربية ولقواعد السلوك والأخلاق والقيم السائدة ,(شومان , 2001) .

التغيرات العالمية المعاصرة وأثرها على القيم :

لقد كان للعولمة انعكاسات على القيم ساهمت في إحداث الصراع القيمي وذلك لوجود نظامين من القيم هما: النظام القيمي السائد ، ونظام القيم الوافدة.

وفي عصر العولمة والمعلوماتية والذي أثر بشكل كبير على التجمعات الإنسانية وثقافاتها وأنساقها القيمية السائدة التأثير الكبير الذي يمارسه النظام الإعلاني العالمي، عبر الإنترنت والفضائيات ووسائل الميديا والاتصال ، والتي تعمل بصورة مستمرة على تشكيل نظام تربوي ضوئي وإلكتروني يعمل على تعزيز القيم العولمية الجديدة ، والتي تصب في خدمة المصالح الاقتصادية الكبرى للمؤسسات الشركات العالمية .

ورغم كل التطور المنقطع النظير في جميع مناحي الحياة والتي أثرت وسوف تبقى تؤثر لابد أن يكون لنا سواء كأشخاص أو من خلال مؤسساتنا المختلفة الدور الكبير في تأسيس وغرس القيم الاجتماعية والثقافية اللازمة في نفوس أبنائنا ، مراعين في هذه القيم المحافظة على كياننا الإنساني الإسلامي ومستخدمين ومستفيدين من هذا التفجر المعرفي بصورة صحيحة ومنظمة ويكون ذلك من خلال تكاتف جميع مؤسساتنا الوطنية المختلفة .

حيث تزداد أهمية المؤسسات التربوية في ظل التغيرات العالمية المعاصرة وما رافقها من تغيرات وتطورات متلاحقة والتي من شأنها الوقوف على أهم مشاكل هذا العصر وهو الصراع القيمي وذلك بسب التشابك والتداخل بين العالمي والمحلي الناجم عن ثورة الاتصالات والمواصلات والانفجار المعرفي والتقني الذي يتخطى الحدود الجغرافية الثقافية وحتى التاريخية للأمم والشعوب.

تعد المظاهر المتنوعة من الممارسات وأنماط السلوك الفردية والسياسات الجماعية التي تسلب الأفراد والمجتمعات السعادة والأمن والاستقرار وتقلل العلاقات في مجالات الحياة المختلفة . ما هي إلا نتيجة لما يتعرض له العالم المعاصر من مجموعة من الهزات الأخلاقية المتلاحقة ولقد أخذت هذه الهزات الأخلاقية صفة العالمية نتيجة لما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة من سهولة في الاتصالات والمواصلات ، ولم يعد لأي مجتمع أن يغلق معابره أمامها أو النجاة من آثارها .

ويكاد يكون الإجماع من أصحاب الفكر الفلسفي والتربوي ان المسؤولية في هذه الأزمة الأخلاقية انما تقع على التربية الحديثة التي اقتصرت اهتمامها على وسائل الحياة دون الغايات والمقاصد وأصبح من اللازم ضرورة مراجعة الاتجاهات الفكرية والثقافية التي أفرزتها الحضارة الحديثة وكان من ثمراتها معاداة القيم و الأخلاق والدين .

ولكنهم يجمعون كذلك على ان التطور الهائل المستمر الذي أحدثته وتحدثه التكنولوجيا في الحضارة الحديثة والحياة الحديثة ، قد نقل المجتمعات البشرية إلى شبكة علاقات اجتماعية جديدة ،لم يعد بمقدور الأنماط التقليدية من القيم وأساليب التربية الأخلاقية مواجهة الأزمات الأخلاقية والاجتماعية التي تصاحب التطور المشار إليه. وبالتالي زاد البحث من علماء التربية والمفكرون عن التربية الأخلاقية من اجل الوقوف على دور المؤسسات التربوية في هذا المجال. لغاية تجنب الناشئة من عدوى الأزمات الأخلاقية الجارية. حيث استطاع الباحثون في التربية الأخلاقية بلورة عدد من النظريات المتعلقة بالنمو الأخلاقي ابتداء من طفولة الإنسان ومضياً مع مراحل حياته المختلفة. واستطاعت تحديد آثار كثير من العوامل المؤثرة في هذا النمو وآثار الموروثات الثقافية والمؤثرات الاجتماعية المختلفة، حيث بلورت ما يمكن اعتباره:اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية .

وتعد القيم من واحدة القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات والمستجدات في العصر الحديث ، ولاسيما مع تنامي موجات العولمة ، وما رافقها من تطورات هائلة في مجال المعلوماتية ، وما

أحدثه ذلك من تأثير في النظام الاجتماعي وثقافة المجتمع بشكل عام .ولم يكن غريباً أن يتأثر مجال القيم بالمستجدات والتغيرات العالمية، وكان من نتائج هذا التأثير ان انحسرت قيم وظهرت قيم جديدة، فانعكس ذلك كله على التنظيم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للإنسان وعلى أساليب حياته، وفي ظل هذه الأوضاع ظهرت على الساحة الإنسانية تشكيلة متباينة من المجتمعات أحدثت فيها هذه الظروف والمستجدات تغيرات عميقة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي .

التغيرات العالمية المعاصرة وأثرها على القيم:

تظهر هذه التغيرات في المجالات التالية :

1- المجال الاجتماعي :

لقد أحدثت التغيرات العالمية المعاصرة آثار اجتماعية منها تحولات وتغيرات وتغييرات في النسيج الاجتماعي ، مما يعمل على عدم خضوعه للضوابط المعيارية والقيمية التي أحبكته عبر الزمن ، إلا أن هذا النسيج لا يبقى على ما هو عليه ، بل يتطور بالتدريج من خلال الأجيال المتعاقبة ومن خلال ما يتأثر بمؤثرات خارجية ، أو داخلية .

وكما أثرت هذه التغيرات على دور الأسرة في عملية التنشئة، فقد ظهرت مؤسسات أخرى جديدة للتنشئة وكان دورها فعالاً منها المحطات الفضائية، والانترنت، والأقراص المدمجة ، وذلك من خلال بثها على مدار الساعة وما تحتويه من توجهات سلوكية وقيم .

ومن أهم الآثار في المجال الاجتماعي :

- تراجع دور الأسرة في التنشئة لصالح الإعلام والتقنيات الحديثة، كالفضائيات، والحاسوب ، والإنترنت .
- أصبح الصغار هم المرجعية للكبار فيما يتعلق بالتعامل مع التقنيات الحديثة كالحاسوب والإنترنت .
- سيطرة الفردية والروح الأنانية على سلوك الأفراد ، حيث تتعاظم مصروفات الأبناء الترفيهية على حساب ميزانية الأسرة.
- تراجع معدلات التفاعل الأسري وميل الأبناء للعزلة بسب انشغالهم في متابعة برامج الفضائيات ، الإنترنت ... الخ
- تراجع سلطة الأب (الأسرة) في السيطرة على سلوك الأفراد فيما يتعلق باختيار الأصدقاء، أو الالتزام باللباس المحتشم / أو مراعاة الذوق العام .
- دخول المرأة إلى مجالات جديدة في العمل والحياة العامة ، حرمت منها سابقاً .
- توحد أذواق الشباب وتنميطها ، ولا سيما في اللباس ، قصة الشعر ، ... الخ .
- تزايد إقبال الشباب على الوجبات السريعة بغض النظر عن القيمة الغذائية .
- تحول الصدق إلى مسألة نسبية تحكمها المصالح الشخصية والمادية .

- أصبحت معايير الصداقة قائمة على النفعية والمصالح والرياء .
- تزايد شكوى الأهل من ارتفاع سهر الأبناء .
- تزايد حالات الزواج عن طريق الانترنت، ولاسيما من النساء الأجنبيات بهدف السفر والهجرة .
- اضطراب المعتقدات الدينية لدى الشباب وتراجع الوازع الديني .
- الاغتراب عن المجتمع المحلي وقضاياه ، وما يحصل به .
- التحول من الانتماء الجمعي إلى الفردية المنجزة .
- التغير في علاقاتنا بالآخرين .

2- المجال الثقافي الفكري :

حيث تتسم التأثيرات الثقافية في هذا العصر بالانتقال الحر للأفكار والمعلومات عن طريق مساهمة المحطات الفضائية في تشكيل وعي الجماهير ، مما أسهم في انفتاح الثقافات العالمية المختلفة، وتأثر بعضها ببعضها الآخر، وتسهيل الاستفادة من التجارب العالمية، وشيوع مفاهيم الحوار لمناقشة القضايا العالمية المشتركة والتي أصبحت أرضية لبروز قيم إنسانية عالمية مشتركة تتخطى الخصوصيات ، كما تسهم هذه التأثيرات في تبني اللغة الإنجليزية ، بوصفها لغة تخاطب عالمية ، ونشر الثقافة الاستهلاكية عالمياً(الخوالدة، 2003، ص65). .

ومن أهم الآثار الثقافية والفكرية الناجمة عن التغيرات العالمية المعاصرة بالاستفادة من الأدبيات المتخصصة في هذا المجال(عبد الدائم،2000)، و(حسن،2000) و(عبد الله،1999): - تزايد مظاهر الإحساس بالدونية الثقافية والحضارة العربية .

- سيادة اللغة الانجليزية (لغة العلم والتكنولوجيا) والاعتزاز بها مع تراجع واضح لاستخدام اللغة العربية .
- تراجع الإنتاج الثقافي والفني المحلي .
- زرع مفاهيم جديدة من خلال الإعلام والمناهج مثل "الشرق أوسطية " و"الإرهاب" و" العنف الحضاري" ... الخ .
- محاولة تسويق وفرض الثقافة الغربية " الأمريكية " .
- محاولة جعل الشباب مجرد مستهلكين وإبعادهم عن الانجاز والإبداع والابتكار، واحتكاره لصالح دول المركز .
- محاولة سلعنة المعرفة من خلال تعميم ونشر مفهوم الاقتصاد المعرفي .
- طبقية التعليم العالي ، حيث يقتصر على القادرين مادياً فقط .
- تعدد الهويات .

3- المجال الاقتصادي :

شهد العالم المعاصر تغيرات اقتصادية واسعة ومتلاحقة ، أثرت على المجتمعات الإنسانية وخلقت أنماطاً جديدة للحياة مست جوانب حياة الإنسان الاجتماعية والأخلاقية، وحتى القيمية. وفيما يتعلق بالآثار الناجمة عن التغيرات العالمية المعاصرة في المجال الاقتصادي وانعكاساتها القيمية (الثقافية) ما يأتي:

- تزايد مظاهر النزعة الاستهلاكية .
- محاولة زرع روح الاتكالية .
- محاولة بث قيم الربح السريع على حساب قيم العمل والإبداع والإنتاج من خلال الإعلام.
- تمادي القطاع الخاص في رفع الأسعار والتلاعب بقوت المواطنين .
- رفع الدولة يدها عن دعم السلع الأساسية للمواطن ، مما أدى الى تزايد معدلات الفقر .
- عملت خصخصة بعض القطاعات على توسيع الخدمات وسرعة الإنجاز وسهولة الخدمة للمواطنين .
- تزايد انتشار المحلات التجارية المتعددة الأغراض (المولات مثلاً) .
- تزايد أهمية مؤسسات النقد والتمويل الدولية .
- تنامي المشاريع الصناعية العابرة للقارات في الوطن العربي مستفيدة من الإعفاء الجمركي والضريبي ، ومن رخص العمالة المحلية .
- أصبح الوطن مجرد سوق استهلاكية لمنتجات الشركات العالمية التي تدخل في منافسة غير متكافئة مع الشركات المحلية .

ظاهرة الصراع القيمي :

يعتبر مفهوم الصراع القيمي من المفاهيم الحديثة نسبياً، حيث قام بعض الباحثين بدراسة العلاقة بين ظاهرة الصراع القيمي والمتغيرات الاجتماعية الأخرى ،وكان التركيز على الجوانب المعوقة وظيفياً لصراع القيم ، لأنه يحدث تحت ظروف بنائية محددة تؤدي ، أو تساعد بالتالي على تفكك العلاقات البنائية (العزام، 1998، ص36).. حيث أشار مرعي، وبلقيس(1994، ص76) أن مفهوم صراع القيم بأنه إحدى العمليات الاجتماعية التي تحدث عند تعرض الأفراد لموقفين متعارضين ومتناقضين ، ويتطلب كل منها سلوكاً مغايراً ، ويؤدي إلى وجود نمطين من الدوافع المتناقضة والمتعارضة يؤدي إلى إعاقة الفرد في التوافق، ولا يلغي أي من الدافعين المتصارعين الآخر، ولكنهما يعطيان الفرصة لنشوء توتر متزايد وسلوك غير ثابت .

فيما يرى أحمد، وعبد المعطي(1997، ص18) أن صراع القيم يعني وجود عدم اتساق وانسجام داخل نسق القيم ينتج عن تباينها وتناقضها . ويقصد بتباين القيم تغاير واختلاف وظيفة كل منها وتعارضه مع وظائف وغايات القيم الأخريات، ويرتبط هذا التباين بجوهره بالجماعات والطبقات والنظم الاجتماعية . أما تضاد القيم فهو وجود اتجاهين متعارضين، أو أكثر من اتجاهات القيم ، وقد يكون هذا

التعارض بين وسائل كل منهما أو أهدافه أو هما معاً ، كوجود اتجاه جماعي في مقابل آخر فردي ، أو وسيلة تقليدية تستند إلى العرف في مقابل عقلية أخرى متحررة تميل إلى التجديد والموازنة العقلية، أو اتجاه نحو تدعيم المصالح العامة في مقابل تدعيم المصالح الفردية .

وفي وقتنا الحاضر تتعرض المجتمعات الانسانية لحالات من التغير المستمر والسريع ، مما يؤدي إلى انعكاس هذه التغيرات على عناصر النظام الاجتماعي عموماً والمنظومة القيمية على وجه الخصوص .

المصادر التي تكمن وراء الوقوع في الصراع القيمي :

- الاحباطات المتكررة في قيام مشروع نهضوي عربي ، فقد مر هذا الأمل بعدة انتكاسات ابتداء من هزيمة 1948 ، ومروراً بحالة التردي والضعف التي تعرضت لها الدول العربية حكومات وشعوب ، وانتهاءً بسقوط بغداد في يد الاحتلال الإنجلو – الامريكي في عام 2003.

- من التناقضات الكبرى في عصرنا الحالي ازدواجية المعايير في السياسة الأمريكية (الغربية عموماً) . ففي حين أنها تدعي نشر وحماية الديمقراطية وتحقيق الحرية والعدالة ، ونشر حقوق الإنسان، وحوار الحضارات ، ولكنها في الوقت ذاته، تعمل على غرس الكبت والرعب والعنف وتعزيز صراع الحضارات من خلال الحروب والحصار والضغط الذي تمارسه على البلاد العربية والإسلامية .

- ازدواجية التنشئة ، فالإنسان العربي واقع أمام مصدرين للتنشئة السياسية أحدها : مصدر محلي، وهو ذو تأثير ضعيف، وآخذ في التراجع . وآخر: مصدر عالمي تقوم به على أكمل وجه وسائل إعلام إلكترونية عولمية غاية في التطور ، كالفضائيات، والإنترنت ، حيث تبث على مدار الساعة رموزاً عالمية، وتفيض على الشباب ما يزيد على حاجته من النشرات الإخبارية والتحليلات السياسية، دون أن تفسح لهم مجالاً للتفكير، أو التمحيص .

- الازدواجية في هوية الشباب بين العالمية والمحلية، ففي عصر التغيرات العالمية المعاصرة ، ولاسيما العولمة، أصبح الشباب لا يعرف نفسه ويتساءل عن هويته . هل أنا إنسان عربي؟ أم مسلم ؟ أم عالمي؟

- عدم الثقة بالأحزاب السياسية الموجودة على الساحة السياسية المحلية، حيث أن غالبية الأحزاب - إن لم تكن جميعها - ترفع شعارات تحاول جذب واستقطاب الشباب لها الشباب لها، لتكون قواعد شبابية ، لتحقيق مكاسب شخصية وسياسية على حساب هؤلاء الشباب، مما خلق نوع من التردد وعدم الثقة بهذه الأحزاب ، وأوجد بالتالي جو من الصراع بين ما يطمحون له، وما يفرضه الواقع عليهم.

- وفي ظل تلاشي الطبقة الوسطى - التي كانت موئلا للنزعات التحررية والنضالية في المجتمع – قامت طبقية ثنائية (عليا – دنيا) وأصبح الشباب يعاني من ثنائيات تتصارع في نفسه .

- أزمة الانتماء الثنائية التي يعيشها الشباب في الوقت الحالي بين الانتماءات المحلية، والانتماءات العالمية .

- وتلعب وسائل الإعلام حالياً، سواء المحلية، او العالمية دوراً كبيراً في خلق ازدواجية قيمية بين الشباب فيما يتعلق بالقيم النضالية والجهادية ، حيث يربط هذه القيم، التي طالما كانت سائدة في مجتمعنا وثقافتنا ولمئات السنين، أصبحت تقترن بالإرهاب والعنف، مما أوقع الشباب في تشتت وحيرة وصراع .

الخاتمة

مما سبق يمكن القول بأن التربية الأخلاقية هي قيم أخلاقية نادى بها المفكرون والفلسفة في التجمعات القديمة وجاءت بها الأديان السماوية وتتفق جميعاً على وضع المبادئ والقيم التي تنهض بالإنسان وترتقي به إلى مدارج السمو والكمال والفضيلة لكنها تختلف بينها فيما بينها من حيث الرسائل . وقد جاءت الديانات السماوية لتعطي علم الأخلاق وتربية الإنسان معنى وبعدا جديدين ربطتهما بتعاليم السماء وان الله الذي خلق الإنسان أنزل له ما يحفظه عن الزلل والضياع من مبادئ أخلاقية تربيه وتهذبه وتهتم به منذ نشأته الأولى في عالم طفولته وحتى مطافه في الحياة الدنيا، وقد اهتمت المدارس الفلسفية المتعددة بأخلاق الإنسان وذهبت في تفسيرها مذاهب متعددة. وجاءت المدارس التربوية الحديثة لتؤسس علم الأخلاق لإنسان مستفيدة من الكم التراكمي العلمي لدى العلماء والفلاسفة القدماء، ولتعطي الإنسان نظماً جديدة وتنهض بمستواه العقلي مواكبة بذلك تربيته الأخلاقية والتي هي الهدف والغاية من علم التربية ليعيش الإنسان في استقرار نفسي وفي سعادة إن سار وفق تلك النظم والأسس التربوية المرسومة له .

ولكن في ظل ما تتعرض له الثقافة بوجه عام إلى هزات، أصبحت عرضة للتآكل والامحاء مع تزايد موجات العولمة والمعلوماتية باعتبارهما أبرز ما شهده العالم المعاصر من تغيرات ومستجدات . ولم يكن غريباً أن يتأثر مجال القيم بالمستجدات والتغيرات العالمية، وكان من نتائج هذا التأثير أن انحسرت قيم وظهرت قيم جديدة فانعكس ذلك كله على التنظيم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للإنسان وعلى أساليب حياته. وفي ظل هذه الأوضاع ظهرت على الساحة الإنسانية تشكيلة متباينة من المجتمعات أحدثت فيها هذه الظروف والمستجدات تغيرات عميقة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي .

وفي عصر العولمة والمعلوماتية والذي أثر بشكل كبير على التجمعات الإنسانية وثقافاتها وأنساقها القيمية السائدة التأثير الكبير الذي يمارسه النظام الإعلاني العالمي، عبر الإنترنت والفضائيات ووسائل الميديا والاتصال ، والتي تعمل بصورة مستمرة على تشكيل نظام تربوي ضوئي وإلكتروني يعمل على تعزيز القيم العولمية الجديدة ، والتي تصب في خدمة المصالح الاقتصادية الكبرى للمؤسسات الشركات العالمية .

ورغم كل التطور المنقطع النظير في جميع مناحي الحياة والتي اثرت وسوف تبقى تؤثر لابد أن يكون لنا سواء كأشخاص أو من خلال مؤسساتنا المختلفة الدور الكبير في تأسيس وغرس القيم الاجتماعية والثقافية اللازمة في نفوس أبناءنا ، مراعين في هذه القيم المحافظة على كياننا الإنساني الإسلامي

ومستخدمين ومستفيدين من هذا التفجر المعرفي بصورة صحيحة ومنظمة ويكون ذلك من خلال تكاتف جميع مؤسساتنا الوطنية المختلفة .

حيث تزداد أهمية المؤسسات التربوية في ظل التغيرات العالمية المعاصرة وما رافقها من تغيرات وتطورات متلاحقة والتي من شأنها الوقوف على أهم مشاكل هذا العصر وهو الصراع القيمي وذلك بسب التشابك والتداخل بين العالمي والمحلي الناجم عن ثورة الاتصالات والمواصلات والانفجار المعرفي والتقني الذي يتخطى الحدود الجغرافية الثقافية وحتى التاريخية للأمم والشعوب .